واما قول النصارى: « جا قاتلر » فانهم لما سكنوا الآخر بادئ بدء وقالوا : « جا قَاتِلْهُ » ضَعُف صوت الهاء فأسقطوها وعوّضوا عنها باشباع اللام وقالوا : « قاتِلُو » (١

والخلاصة مما مرّ بك ان اصل حركات الاعراب كلمات كان لها معانٍ قائمة بذاتها ثمّ نُقلت الى أحرُف طلباً للخفّة في الكلام ثم الى حركاتٍ اشارةً الى اصلها الذي يُقابلها. ثمّ أُهملت استغناء عنها بفهم المراد مع تركها. وقد تحققتُ ايضاً امراً ثانياً لم نرصد هذه النبذة له وهو ان اللغة العامّيّة ترجع الى لغة فصيحة بعد مراجعة الامهات التي تولّدت عنها. فسبحان من يغيّر كلّ شيء ولا يتغيّر دلالةً على انهُ هو وحدهُ الحيُّ الباقي :

تجيءُ وتمضي بابةٌ بعد بابةٍ وتبقى جميعاً والمُحرّك باقي

هل ملك بنو غسّان دمشق الشام ؟

للاب هنري لامنس اليسوعي

ذلك امرٌ كنّا انكرناهُ في مقالتنا الحديثة عن اصل الروم الملكيين (راجع المشرق ٣ : ٢٧٣). على انّ جناب الكاتب الاديب امين ظاهر خير الله لم يصادق على قولنا

(١) وختم هذه المقالة قائلين : انهُ لا يمكن البرم وجود موطن من مواطن الصور يتكلّم اصحابهُ على مقتضى اصول الاعراب وذلك اما ان هؤلاء يُعربون اواخر الكلم ويُسقطون الحركات عند الوقف . واما انهم لا يُعربونها . فان كان الثاني فقد خالفوا تلك الاصول وهذا اوضح من الصبح اذى عينين . وان كان الاول فيستحيل وجود مثل هؤلاء الناس على ما ذكرنا من تأثير قبل الكلم الاخيرة على سائر الانسان وذاكرتهِ كما اسلفناهُ في هذه النبذة . ولهذا لا نُصدّق ابداً ما اوردهُ صاحبا القاموس والتاج ونقلهُ البيان . وهذا نص هذه الجملة بعد ان حذفت بعض الزوائد المستطردة . قالت : « جاء في القاموس في مادة (ع ك د) ذكر الجبل المسمّى بعكّاد وهو جبل باليمن قرب مدينة زبيد زعم انّ اهلهُ باقون لهذه على اللغة الفصحى وذلك بين المئة الثامنة والتاسعة للهجرة . وزاد في تاج العروس قولهُ الى الان اي الى عصر الشارح وهو اواخر المئة الثانية عشرة قال ولا يقيم الغريب عندهم اكثر من ثلاث ليالٍ خوفاً على لسانهم . اه . وزاد البيان كلاماً نستحسنهُ كل الاستحسان : « وهو من الغرابة بمكان . والله اعلم »

فحاول الردّ عليه في المنار (ع ٢٩ ص ٤٥٧) واحتجّ في تفنيدنا على حجج رأينا ان نمعن فيها نظر الانتقاد لنتبيّن صحّتها. هذا ونثني على كاتب المنار لتحاشيه خشنة التعبير في احتجاجه فردّ علينا بكلام يُستشفّ من ورائه في الغالب اللطف والادب كما هو شأن افاضل العلماء في المجاثهم

١ اول حجّة استند اليها الخواجا امين خير الله ذكرُ الملك الحارث صاحب دمشق في عهد القديس بولس الرسول في رسالته الثانية الى اهل كورنتوس (١١ : ٣١). قلنا اننا لا ننكر تولّي الحارث على دمشق. ولكن اين الادلّة على كون هذا الملك غسّانيّ او من أجداد بني غسّان؟ بل اين الادلّة على كونه عربيّ؟ فهيهات ان يقوى خصمنا الاديب على اثبات كل ذلك. والصواب انّ الحارث الذي اراد القبض على القديس بولس كان ملك النبطيين. والنبطيون فرعٌ من الآراميين دعاهم البعض عربًا على سبيل التوسّع والمجاز لوقوع عاصمتهم في تخوم جزيرة العرب. وكان انتهاء دولة النبطيين في القرن الثاني للمسيح. اما الغسّانيون فانّ ذكرهم ورد لاول مرّة في أواخر القرن الرابع اذ رحلوا بعد انفجار سدّ مأرب من بلاد اليمن وهاجروا الى تخوم الشام. فمن ثمّ قد وهم جناب الكاتب الاديب في قوله وخلط بين امّتين او قبيلتين تختلفان ايّ اختلاف من حيث الاصل والجنس واللغة والهيئة المدنيّة ويفصل بينهما ردحٌ من الدهر لا يقلّ عن ثلاثة قرون. فكيف فات ذلك الخواجا خير الله؟ وان كان لديه براهين قاطعة في ذلك فما لهُ لم يعرضها؟ ثمّ اننا نسألهُ البرهان على قوله «انّ لهؤلاء الغسّانيّين البناء الذي تُشاهد آثارهُ عند نبع الفيجة» (١. فان امكنهُ ان يأتي بالشواهد الراهنة على ذلك كنّا لهُ من الشاكرين

٢ والحجّتان الثانية والثالثة اللتان ناقض بهما الاديب ظاهر خير الله رأينا في ولاية غسّان على دمشق اخذهما جنابهُ من قصيدتين لحسّان بن ثابت وللنابغة الذبياني مدحا بهما بني غسّان وورد فيهما اسم «جلّق» فزعم خصمنا انّ بني غسّان تولّوا على

١) قد اتى الخواجا خير الله في بسط براهينه بامور كثيرة تقتضي بحثًا مطوّلاً لا يسعنا الخوض فيه في بيئتنا هذه الموجزة. وانما ننبّه خصمنا على انّ تاريخ الجاهليّة كثير الالتباس لا يجوز لهُ ان يدخل في مقازاته دون تروٍّ وحذر ولولا ذلك لزلّت قدمهُ وتاه في بيداء الضلال

دمشق لان جلّق المذكورة في هذه الابيات هي « من اسماء دمشق ». والامر ليس كما ارتأى لانّ اكبر علماء عصرنا في الآثار الشرقيّة قد اجمعوا على ان جلّق ليست دمشق « ولا من اسماء دمشق » (١). امّا تعريف جلّق وموقع هذه البلدة فلا حاجة الى شرح ذلك هنا لانهُ يخرج بنا عن حدود الايجاز الذي تحرّيناهُ والراجح انّ جلّق المذكورة كانت في الغوطة ليس بعيدًا عن البردى. وفي هذا كفاية لردّ قول جناب امين خير الله. وان شاء زدناهُ عن ذلك ايضاحًا

٣ بقي لخصمنا حجّة اخيرة استند اليها وهي عبارةٌ وردت في جريدة الهلال (٦ : ٦) قال فيها صاحبها: « انّ السؤال سيّر امرء القيس الى الحارث (الغسّاني) عامل قيصر على الشام » فاستنتج من هذا القول انّ بني غسّان ملكوا دمشق لان الشام تدخل فيها دمشق ان عُدّت قطرًا وهي مرادفة لها ان عُدّت مدينةً

جوابنا اننا لا نجهل انّ بعض مؤرخي العرب كتبوا ما نقلهُ عنهم صاحب الهلال. فقد جاء في تاريخ اليعقوبي مثلًا (١ : ١٧٧) في كلامهِ عن جند دمشق: « وكان عمّال ملك الروم بها آل جفنة من غسّان » ولكن يا ترى ما معنى هذا القول؟ هل يُراد بهِ ان الغسّانيين كانوا ولاةً على دمشق ؟ كلّا. وانّما المراد ان ملوك غسّان كانوا عمّالًا لمقاصرة الروم في جند الشام اي انّ ملوك القسطنطينيّة وكلوا اليهم النظر والولاية على العرب الساكنين في انحاء الشام المجاورة لدمشق كما كان الاكاسرة عهدوا بنظارة عرب العراق والجزيرة الى ملوك الحيرة. فلكي تصح حجّة خصمنا كان يقتضي عليهِ ان يأتينا بنصّ قديم لكتبة العرب يثبتون فيهِ ان بني غسّان كانوا يملكون على دمشق ولا نظنّهُ يفعل. امّا الشاهد المأخوذ من تزيين نهاية الارب لاسكندر ابكاريوس الذي ورد فيهِ ذكر قصور الغسّانيين من جملتها قصرٌ ابتنوهُ في دمشق فليس ببرهان كما لا يخفى اذ ليس كلّ من بنى قصرًا في بلدٍ بصاحبِ لهذا البلد. على انّ النصّ المذكور حديث يستدعي ملاحظات عديدة لا نرى وجهًا لاثباتها في هذا المكان

ثمّ اذا وُجد في تواريخ العرب شبهة من هذا القبيل فيزيلها الكتبة اليونان والسريان فان في كلامهم من الوضوح ما ليس بعدهُ مزيد. فانهم طالما دوّنوا في تآليفهم انّ

(١) راجع مقالة نُلدك في امراء غسان Nöldeke : *Die Ghassan. Fürsten*, p. 47
وتأليف دي برسفال في تاريخ الجاهليّة C. de Perceval : *Hist. des Arabes* II; 223.

الغسانيين لم يحكموا على احد في الشام الّا على العرب. وهذا الامر تؤيّده الآثار التي اكتشفها المستشرقون حديثًا في حوران (راجع وَدِنغتون Inscriptions de Syrie, n^os 2110 et 2562, c) فثبت اذن معنى قول مؤرخي العرب ان بني غسّان كانوا في الشام عمّالًا لملوك الروم

هذا ولا نكتفي بما سبق فنقول ان الغسانيين ليس فقط لم يملكوا على دمشق بل لم يحصلوا قطّ على مدينة حوزة من القطر الشامي كما بيّن ذلك باجلى برهان المستشرق الشهير نُلدك في تاريخ امراء غسان (ص١٧). كانت عاصمتهم وكرسي دولتهم في الجابية في جولان وهي عبارة عن قرية يسكنها قومٌ من الحضر مع لواحق تُحدق بها يأوي اليها اهل الوَبر وكان ملوك غسان في وسطهم كشيوخ القبيلة يقطنون قصرًا ابتنوهُ في ظهرانيهم

وقد سرّ لنا في المشرق (١ : ٤٨٤) كلام مُسهب في احوال الغسانيين وما كان من امرهم وسعة مملكتهم ونفوذ سلطتهم وطاعتهم لملوك الروم فلا حاجة الى التكرار. ويُستفاد من مقالتنا المذكورة السابقة ان ملوك غسان تولّوا من قبل القياصرة قيادة العرب في بادية الشام ولم تتعرّ شوكتهم في مدنها. وكان لهذه المدن ولاةٌ من الروم يسوسونها ويُعنون بشؤونها لاسيما قواعد المدن كدمشق التي كانت منذ القرن الخامس حاضرةً لسوريّة الوسطى

هذا ولا يقبل العقل السليم ان ملوك القسطنطينية ولّوا على مدينة معتبرة كدمشق قومًا لم يصدقوهم قطّ الخدمة وكثيرًا ما ثاروا عليهم لواء العصيان. وانما الروم كانوا يُولّون قلوبهم بما يصانعهم من الصلات ويحاذون عليهم من الخلع ويجودون عليهم من الالقاب والامتيازات ويجعلون لهم من الاقطاعات والرواتب وما غايتهم في ذلك الّا ان يستميلوهم لمحاربة ملوك العجم وضبط عنان عرب البادية. اما السلطة فكان ملوك الروم لا يمنحون منها لملوك غسّان الّا النزر القليل لئلا يستفحل امرهم ويشتدّ ركنهم. وكان الروم في وقت الحرب يحملون الغسانيين على اعدائهم لكنّهم لم يدخلوهم في عداد جيوشهم المنظّمة وكانوا يراقبون كلّ حركاتهم ويتخوّفون خيانتهم. واذا انتهت الحرب كانوا ينزعون عنهم العُدَد والاسلحة التي اعاروهم اياها لوقت القتال. ومما ورد في تاريخ اليونان عن بعض ملوك غسّان انهُ كان تحت حماية احد ولاة الروم. فهذا كلهُ دليل واضح على صحة قولنا وبطلان

قول جناب خصمنا عن ولاية الفسانيين على دمشق. ومن أراد البينات المنصّة على ذلك فعليه بمراجعة كتاب العلّامة نلدك في امراء غسان

وقبل الختام نبدي للخواجا امين خير الله ملاحظةً بخصوص ما كتبهُ عن الاسم الحديث الذي اتّخذهُ الروم غير الكاثوليك اعني به اسم الاورثوذكس بدلًا من اسم الملكيين فنقول ان كان جنابهُ يستصوب هذا اللقب فنحن لا نشاطُهُ فيه. بيد اننا لا نزال مع كثيرين من القراء نظنّ انّ الأولى بطائفة قديمة ان تحافظ على اسمها المميّز لها فلا تتّسم باسم حديث شائع بين مذاهب تخالفها بالاصل والمعتقد. فما قول جناب المنتقد عن أسرة شريفة كأسرة بربون مثلًا تنبذ اسمها لتنعت نفسها بلقب يعمُّ غيرها كثيرين. أفليس هذا يغضُّ من شأنها ؟ فليحكم ذوو البصيرة

رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الثاني للنصرانيّة

الاب يوحنا راي اليسوعي

بيّنا في مقالة اولى صدّرنا بها العدد الاول من هذه السنة (ص ٢) ان رئاسة الاحبار الطاقة احدى القضايا الرؤوسيّة التي استلتها الكنيسة من التقليد الرسولي وجرى بمقتضاها المسيحيون في بدء النصرانيّة في جميع انحاء المعمور اذ لم يكن وقتئذٍ شقاقٌ بين الكنائس وكان « لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة » (اعمال ٤ : ٣٢)

ولم يكن شرقنا العزيز في طاعته لكرسي رومية مخالفًا للغرب بل كان الخافقان يجريان في ذلك جري خيل الرهان في حلبة الميدان. ومصداقًا على هذا القول جمعنا في نبذتنا السابقة ما وجدناهُ في بطون التاريخ الشرقيّ من الشواهد الناطقة والادلّة الصادقة ما يكفي لبيان هذه القضيّة في القرن الاول للنصرانيّة

على انّ هذه الحلقة الاولى ما كانت الّا بدء سلسلة متواترة امتدّت منذ غرّة النصرانيّة الى عهدنا دون ان تنفصم بتةً. واليوم رأينا ان نثبت هذه الرئاسة البابويّة